انتشار المذهب الشافعي في العالم الإسلامي

د. ناطق صالح مطلوب(*)

البحث محاولة للوقوف على العوامل الذاتية والموضوعية وراء انتشار المذهب الشافعي في الأقاليم العربية والإسلامية مركزين على دور الرواد من العلماء وتلامذتهم الذين كان لهم فضل نشر المذهب من خلال جلوسهم للتدريس والإفتاء وما خلفوه من مؤلفات خدمت المذهب وفسَّرت غوامضه ورسخت مباديءُ وحرصنا على أن لا تتخطى الدراسة حدود القرن الرابع للهجري/ العاشر للميلادي وذلك لاكتمال أصول المذهب وقوانينه إلا لضرورات ملحة تطلبتها الدراسة.

تمهيد

يقول الشيرازي: ان اكثر أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين لازموه كانوا فقهاء؛ لأن طرائق الفقه في حق الصحابة – رضي الله عنهم – هو كتاب الله تعالى وحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وما نقل منهما وأفعال الرسول – صلى الله عليه وسلم – وما نقل منها، فقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى أسباب عرفوها وخطاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بلغتهم يعرفون معناه ويفهمون منطوقه وفحواه وأفعاله التي فعلها من العبادات والمعاملات والسير

(*) قسم التاريخ _ كلية التربية / جامعة الموصل.

والسياسات وقد شاهدوا ذلك كله وعرفوه وتكرر عليهم مرات وتبحروه [1]؛ ولهذا قال الرسول – صلى الله عليه وسلم: ((أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)) [2] غير أن الذي اشتهر منهم بالفتوى وتكلم في الحلال والحرام جماعة مخصوصة منهم: الخلفاء الراشدون الأربعة وعبدالله بن مسعود وأبو موسى الاشعري وأُبَي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو الدرداء[3] كما حصل علم هؤلاء الصحابة في طبقة أخرى من أحداث الصحابة من أمثال: عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عمرو بن العاص ثم انتقل الفقه إلى التابعين ويأتي في مقدمتهم الفقهاء السبعة المشهورون في المدينة المنورة[4] وكان العلم في صدر الإسلام يعني معرفة الأحكام والمعايير الشرعية التي نزل بها القرآن الكريم، أو نص عليها الحديث والسنة النبوية الشريفة فلما انتشر الإسلام ودانت لحكمه البلدان شرقا وغربا لم يعد العلم بما جاء بسنة الكتاب والسنة كافيا لسد الحاجات العارضة للمسلمين، ومن دخل في امانهم والفضاء في كل ما يعن ويجد من المسائل والمشكلات المتعلقة بحقوق الناس ومصالحهم؛ ولذلك كان على أهل العلم ان يجتهدوا ويستخدموا الرأي لحل

---

(1) طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1981، ص 35.

(2) الحديث عند ابن عبدالبر في التمهيد، وزارة الأوقاف المغربية، 1387هـ، 263/4، وابن حزم في الأحكام، القاهرة، 1404هـ، 6/ 237، والعبادي في طبقات الشافعية، ليدن، 1964، ص 6. والآمدي في الأحكام، بيروت، 1404هـ، 1/ 290، والذهبي في ميزان الاعتدال، بيروت، 1995، 2/ 379 و 73/8 وابن حجر في فتح الباري، تحقيق: محمود عبدالباقي والخطيب، بيروت، 1379هـ، 4/ 57، وفي تلخيص الحبير، تحقيق: عبدالله المدني، المدينة المنورة، 1964، 4/ 190.

(3) الشيرازي، ص 36.

(4) وهم: سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق وأبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث وعبيدالله بن عتبة وخارجة بن زيد وسليمان بن يسار. ينظر: الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص 57-61.

المشكلات العارضة، ومن هنا كانت بدايات ظهور علم الفقه [5] الذي: ((هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة وهي متلقاة من الكتاب السنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه))[6] وثمة روايات تشير إلى أنَّ أوائل المدونات الفقهية المروية عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيما يخص الصدقات والخراج وما يجب على الماشية[7] وعن هشام بن عروة انه قال: ((احرق أبي يوم الحرة- سنة 63هـ/ 683م- كتب فقه كانت له قال: فكان يقول بعد ذلك لان تكون عندي احب إلي من أن يكون لي مثل أهلي ومالي))[8] ويعد زيد بن ثابت من أوائل الفقهاء الذين جمعوا كتابا في الفرائض وروي عنه [9] ونال اهتمام التابعين، ومن بعدهم وكان مصدرا من أهم المصادر في موضوع المواريث حتى قال الزهري ((لولا أن زيد بن ثابت كتب الفرائض لرأيت انها ستذهب

(5) بروكلمن، تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية) 232/3.

(6) ابن خلدون، المقدمة، دار البيان، بيروت، ص 447.

(7) ابن عبدالبر، جامع بيان العلم فضله، المدينة المنورة، 1/ 84 وما بعدها. الخطيب البغدادي، الكفاية، تحقيق: السورقي والمدني، المدينة المنورة، ص 353 و 354 والنص: ((عن ابن عمر انه وجد في قائم سيف عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة فيها: ليس دون خمس من الإبل صدقة، فإذا كانت خمسة ففيها شاه وفي عشر شاتان وفي خمس عشرة ثلاث شياه....))

(8) ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت، 5/ 179. وينظر: سزكين، تاريخ التراث العربي (الترجمة العربية) ، م1ق3/3.

(9) ابن حنبل، العلل، بيروت-الرياض، 1988، 1/ 236، ابن خير، فهرست ما رواه عن شيوخه، بيروت، ص 263 ويرويه ابن خير عن شيخه أبي بكر بن طاهر عن أبي علي الغساني بسنده عن شيوخه عن زيد بن ثابت.

من الناس)) [10] وفي رواية انه قال: ((لو هلك عثمان بن عفان وزيد بن ثابت - رضي الله عنهما - لهلك علم الفرائض إلى يوم القيامة جاء على الناس زمان وما يحسنه غيرهما)[11] وكان البيهقي يرفع كثيرا من مكانة زيد بن ثابت وعلمه وقد ضمن سننه الكثير من المرويات عنه في الباب الخاص بالمواريث[12].

ويبدو ان بدء تأليف كتب الفقه المصنفة في أبواب كانت في أواخر القرن الأول، و أوائل القرن الثاني للهجرة، وهناك نص لابن القيم الجوزي يقول: إنَّ فتاوى ابن شهاب الزهري كانت في ثلاثة أجزاء، وان فتاوى الحسن البصري كانت في سبعة أجزاء، مرتبة على أبواب الفقه[13].

وبادر الفقهاء مبكرين إلى تنظيم الأحكام التشريعية المطبقة على الإسلام وأحكام بنائها على أصول وقواعد وترتيبها على أبواب وفنون، وكان الشافعي أخص من اضطلع بهذه المهمة وذلك بتهذيب القياس وحسن استعماله وقد كان لمذهبه ابعد التأثير بسبب ذلك إذ اتبعه اكثر المتأخرين[14].

---

(10) سزكين، م1ق6/3.

(11) البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق. محمد عبدالقادر، مكة المكرمة، 1994، 211/6.

(12) البيهقي، 6/ 210-212. وينظر: الشافعي، كتاب ألام، بيروت، 1393هـ، 80/4 و 69/5 و 7/ 130 و 179. وابن حنبل، العلل، 334/3، والمسند، مصر، 281/3

(13) أعلام الموقعين، القاهرة، 1325هـ، 26/1. وينظر: بروكلمن، 233/3، سزكين، م1ق8/3.

(14) بروكلمن، 3/ 233.

ترجمة الشافعي

والشافعي، هو: أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس القرشي[15].

ولد بغزة سنة 150هـ/ 767م ثم حمل إلى مكة، وهو ابن سنتين، ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وموطأ مالك وهو ابن عشر سنين وتفقه على مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة وأذن له بالإفتاء وعمره خمس عشرة سنة، ثم رحل إلى المدينة المنورة فلازم مالك بن أنس مدة[16] ودخل العراق ولقي محمد بن الحسن الشيباني وقرأ عليه جميع مؤلفاته وكان الشيباني يعظم الشافعي ويجله كثيرا وكان سفيان بن عينيه إذا جاءه شيء من التفسير والفتيا يحيل الجواب إلى الشافعي[17].

جلس الشافعي للتدريس ببغداد للمدة من 195-197هـ/810-812م فاجتمع عليه علماؤها، وسمعوا منه الكثير وصنف ببغداد كتاب الرسالة وغيرها[18] وهو ما

(15) مصادر ترجمة الشافعي لا تحصر، ينظر على سبيل المثال: ابن يونس ، تاريخ ابن يونس، تحقيق: عبدالفتاح فتحي، بيروت، 2000، ق190/2، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 56/2، الشيرازي، ص 73-العبادي، ص6، ابن النديم، الفهرست، ليبك، 1871مص 209. القاضي عياض، ترتيب المدارك، تحقيق: عبدالقادر الصحراوي، وزارة الأوقاف المغربية، 3/ 174. ابن الجوزي، صفة الصفوة، الهند، 1355هـ، 140/2. ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1968، 4/ 163. الرازي، مناقب الشافعي، القاهرة، 1279هـ. النووي، تهذيبا لاسماء \، القاهرة، 44/1. الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: الارناؤط والعرقسوسي، بيروت، 1423هـ، 5/1. الاستوي، طبقات الشافعية، الحسينية، 1/ ابن هداية الله، طبقات الشافعية، بغداد، 1356هـ، ص 25.

(16) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 63/3، الشيرازي، ص 73، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 7/10.

(17) الشيرازي، ص 73. الاستوي، 1/ 12.

(18) الرازي، مناقب الشافعي، ص 57. الاستوي، 1/ 12.

يعرف بالعلم القديم، ثم خرج إلى مكة، ثم عاد إلى بغداد سنة 198هـ/ 813م فأقام بها شهرا، ثم خرج إلى مصر فسكنها وصنف فيها ما يسمى بالعلم الجديد كالسنن والمسند والأم وغيرها[19] وكان الشافعي أول من صنف في أبواب كثيرة في الفقه وهو مؤسس علم أصول الفقه الذي يرسم المناهج وينظمها لاستخراج الأحكام من أدلتها ويحرر طرائق الاجتهاد والاستنباط[20].

ومذهب الشافعي ينحو إلى الجمع والتوفيق بين مذهب أهل الرأي الذي أخذ به أبو حنيفة ومذهب أهل الحديث الذي أخذ به مالك بن انس[21].

درس على الشافعي جمع من طلبة العلم وحملوا عنه مؤلفاته وبهم انتشر المذهب في الأمصار الإسلامية ولم يزل الشافعي بمصر ناشرا للعلم إلى أن توفي بها في سنة 204هـ/ 819م[22].

انتشار المذهب

ان الأفكار دينية كانت أم سياسية لا تنتشر ولا تسود بقوتها الذاتية ولابد من اتباع و أنصار يتلقونها من منابعها الأصلية، ويقومون على تفسيرها ونشرها بين

---

(19) ذكر الرازي، ص 57، ان الشافعي أعاد تصنيف الرسالة في مصر وعدة مؤلفاته ينظر: ابن النديم، الفهرسي ، ص 209. الحموي، معجم الأدباء، مارجليوث: 6/ 396.

(20) العبادي، ص7. ابن خلكان، 4/ 165.

(21) ابن خلدون، المقدمة، ص 448. وينظر: بروكلمن، 3/ 293.

(22) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 63/2. الشيرازي، ص 73، ابن خلكان، 4/ 165.

الناس وهؤلاء الاتباع والأنصار هم تلامذة المذهب ورواده الذين يؤسسون لأصوله وقواعده وتدوين ما يخدم أغراضه من المؤلفات(23).

وقد كثر اتباع المذهب الشافعي وظهر مذهبه أثناء ظهور مذهبي أبي حنيفة ومالك قبله، وكان أول ظهوره بمصر وكثر أصحابه بها مع المالكية، فكان واحدا منهم معدودا فيهم إلى أن أكثر عليه فتيان ابن أبي السمح (24) من فقهائهم وجرت بينهما خطوب اقتضت تحيزه مع أصحابه (25) فظهر بها حينئذ المذهب الشافعي وكثر أصحابه والمتبعون له، ثم ظهر في العراق وفي بغداد خاصة، وتبعه جمع من أهل العلم(26) وفي هذين البلدين مصر والعراق كان رواد المذهب من تلامذة الشافعي وعليهم تفقه طلبة المذهب من البلدان والأمصار الإسلامية الأخرى.

أن التركيز على شيوخ المذهب من الرواد ومن تبعهم من طلبة المذهب وتصدرهم للتدريس والفتيا وما خلفوه من المؤلفات بعكس ومن دون ريب الدور الكبير الذي اضطلع به هؤلاء الشيوخ في نشر المذهب وترسيخ مبادئ في الأمصار الإسلامية المختلفة.

ففي مصر كان هناك جماعة ممن تلقى العلم عن الشافعي يأتي في مقدمتهم: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني (ت 264هـ/ 878م) وهو من اشهر تلامذته

---

(23) ابن خلدون، المقدمة، ص 449.

(24) هو فتيان بن ابي السمح التجيبي ابو الخيار، من اصحاب مالك توفي بمصر سنة 232هـ/ 846م. ترتيب المدارك: 3/ 279.

(25) ترتيب المدارك: 3/ 279.

(26) عياض، ترتيب المدارك: 1/ 25 و 66.

وأكبرهم قدراً لديه[27]، ومع ذلك فقد كانت للمزني وجهات نظر في المذهب تختلف عن وجهة نظر أستاذه الشافعي [28] ، وقد خلف المزني عددا من المؤلفات منها المختصر الذي يعد من اكثر الكتب شهرة وتداولا عند الشافعية وقد نال اهتمام الدارسين، وتصدى لشرحه جماعة من أهل العلم [29] والمبسوط والجامع الكبير والجمع الصغير والمسائل المعتبرة والترغيب في العلم والدقائق والعقارب والوثائق ونهاية الاختصار[30] وقد كان لمؤلفات المزني هذه أكبر الأثر في أدبيات المذهب وتقريبه لأهل العلم وتقديم الكثير مما يحتاج إليه.

وكان أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي (ت 231هـ/ 845م) إماما جليلاً عابدا مناظرا، تفقه على الشافعي حتى أصبح من أكابر أصحابه ودرس على عبدالله بن وهب وروى عنه الكثير من مؤلفاته ومروياته [31] وكان الشافعي يعتمد على البويطي في الفتيا ويحيل عليه، واستخلفه على أصحابه بعد موته فتخرج على يديه أئمة تفرقوا في البلاد، ونشروا علم الشافعي في الآفاق[32].

ألف البويطي كتاب المختصر من كلام الشافعي قراه عليه بحضرة الربيع المرادي، ولهذا يروي أيضا عن الربيع[33] وهو كتاب في غاية الحسن والجودة[34]،

(27) قال الشافعي: (المزني ناصر مذهبي ولو ناظر الشيطان لغلبه) ، الاستوي: 1/ 34.

(28) قال الاستوي: 1/ 34 (وصنف كتابا مفردا على مذهبه لا على مذهب الشافعي).

(29) ينظر: بروكلمن: 3/ 299.

(30) ابن النديم: 1/ 212. السبكي: 1/ 238.

(31) السبكي: 1/ 275.

(32) العبادي، ص: 7 و 8. ابن خلكان: 6/ 61. السبكي: 1/ 275.

(33) الاستوري: 1/ 21.

وقد جمع البويطي عددا من رسائل الشافعي في كتاب واحد عرف بكتاب ألام [35] وبذلك خدم المذهب خدمة كبيرة.

وكان أبو علي عبدالعزيز بن عمران بن مقلاص المصري (ت 234هـ/ 848م) قد لزم الشافعي وتفقه به وروى عنه[36]. ودرس أبو حفص حرملة بن يحيى التجيبي (ت 243هـ/ 857م) على الشافعي كثيراً من مؤلفاته وقرأ على ابن وهب وسعيد بن أبي مريم وعنه جماعة من طلبة العلم وكان حافظا للحديث فقيها خلف من المؤلفات: كتاب المبسوط، وكتاب المختصر[37].

ويعد أبو محمد الربيع بن سليمان المرادي (ت 270هـ/ 883م) من مشاهير أعلام المذهب، حدَّث عن ابن وهب وأيوب الرملي وأبي زرعة الرازي وزكريا الساجي وغيرهم[38] وصحب الشافعي مدة طويلة، وكان من أحفظ أصحابه وأثبتهم في الرواية عنه، رحل إليه طلبة العلم من أقطار الأرض ليأخذوا عنه علم الشافعي ويرووا عنه كتبه[39].

---

(34) السبكي: 1/ 275.

(35) للدكتور زكي مبارك رسالة اسمها: (كتاب الام لم يؤلفه الشافعي وانما الفه البويطي، شكك فيها بنسبة الام للشافعي واراد ان يقول البويطي جمعة مما كتبه الشافعي). ينظر الاستوري: 1/ 12، هامش رقم (7).

(36) العبادي، ص: 25، النووي: 2/ 302. الاستوي: 1/ 23.

(37) ابن عبدالبر، الانتقاء، القاهرة، 1350هـ، ص: 109. الشيرازي، ص 99. السبكي: 1/ 257. وقال العبادي، ص 17، (وله كتاب مفرد يرويه عن الشافعي يسمى كتاب حرملة).

(38) السبكي: 1/ 260.

(39) العبادي، ص 12. الاستوري: 1/ 39.

وكان أبو حنيفة فحزم بن عبدالله الأسواني (ت 271هـ/ 884م) مقيما في أسوان يفتي بها على مذهب الشافعي ويدرس بعض مؤلفاته [(40)]، وهو آخر من صحب الشافعي موتا[(41)].

واما أبو بكر محمد بن أحمد بن الحداد المصري (ت 345هـ/ 956هـ) فقد كان فقيها مدققا غواصا له كتاب الفروع في المذهب مشهور لدى الشافعية[(42)].

وقد روى السبكي عن والده عن صدر الدين ابن المرحل أنه كان يقول: ما جلس على كرسي سلطنة مصر غير الشافعي إلا وقتل وروى ان السطان قطز (657-658هـ/ 1258-1259م) كان حنفيا ومكث يسيرا وقتل، واما الظاهر (658هـ – 676هـ / 1259-1277م) فانه لما ضم القضاة إلى الشافعية ندم على ذلك[(43)] فلم يلبث إلا يسيرا ومات، ولم يمكث ولده السعيد (676-678هـ/ 1277-1279م) بعده إلا يسيرا وزالت دولته[(44)] وليس ثمة ما يؤيد مثل هذه الروايات؛ لأن تنصيب السلاطين وعزلهم يتم بناء على جملة معطيات عرضت لها كتب التاريخ

---

(40) ابن يونس: ق1/ 399. الادفوي، الطالع السعيد، تحقيق سعد محمد، القاهرة، 1966، ص: 259. الاسنوي : 1/ 40.

(41) السبكي: 1/ 274.

(42) الشيرازي، ص 114. ابن خلكان: 3/ 336. السبكي: 2/ 112.

(43) وزعم السبكي: 8/ 32 ان السلطان الظاهر رأى الإمام الشافعي في المنام وهو يقول: ((تهين مذهبي والبلاد لي...))

(44) طبقات الشافعية: 8/ 320.

المتخصصة[45] والرواية شكلا وموضوعا لا تتعدى أكثر من كونها رواية ترغيب للرفع من مكانة المذهب الشافعي بين المذاهب الأخرى.

وكان في العراق جماعة لا زموا الشافعي أول ظهوره وتصدره للتدريس والفتيا ببغداد يتقدمهم أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي (ت 246هـ/ 860م) وهو اول من لقن علم الشافعي [46] وتفقه عليه حتى صار من اوثق تلامذته الذين اختصوا برواية القديم من مؤلفاته كالرسالة وغيرها[47].

وأبو علي الحسن بن محمد الزعفراني (ت 260هـ/ 874م) كان إماما جليلا فقيها محدثا سمع من ابن عيينه وعبيدة بن حميد وصحب الشافعي ببغداد، وهو اثبت رواه القديم[48]، وكان حسن النطق والقراءة ولذا تولى قراءة كتب الشافعي أمام تلاميذه ببغداد عدا كتابي المناسك والصلاة فكان الشافعي يقراهما بنفسه وكان يقول: ((اني لأقرأ كتب الشافعي وتقرا علي منذ خمسين سنة)) [49] ولهذا اكتسب مقاما عاليا بين رواة مؤلفات الشافعي.

وكان أبو القاسم عثمان بن سعيد الانماطي (ت 288هـ/ 900م) من أكثر علماء الشافعية نشاطا في نشر المذهب وتقريبه للناس في بغداد وبعض مدن العراق

(45) ينظر على سبيل المثال: أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، 1/ 199 و 207 و 2/ 10 و 12.

(46) السبكي: 1/ 227.

(47) الخطيب البغدادي: 6/ 65. الاسنوي: 1/ 25.

(48) السبكي: 1/ 250.

(49) الاسنوي: 1/ 33. وينظر: العبادي، ص: 23.

وقد كان الانماطي مدرساً ومفتياً لمدة طويلة وتخرج على يده جمع من نجباء الطلبة الذين نهجوا نهجه واقتفوا أساليبه في نشر المذهب[50].

ويعد أبو العباس احمد بن عمر بن سريج البغدادي (ت 306هـ/ 918م) من أكابر تلامذة الانماطي قدرا لدى أهل العلم وكان من عظماء الشافعين وأئمة المسلمين، ولي قضاء شيراز مدة، وكان يفضل على جميع أصحاب الشافعي حتى على المزني، وكانت فهرست كتبة تشمل على أربعمائة مصنف [51] شرح فيها المذهب ولخصه وعمل المسائل في الفروع [52] وقام بنصرة المذهب ورد على المخالفين وعنه انتشر فقه الشافعي في بغداد خاصة[53].

ونبغ من تلامذته أعلام تصدروا للتدريس والفتيا في اكثر من مدينة ومن أشهرهم في العراق: أبو إسحاق إبراهيم بن احمد المروزي (ت340هـ/ 951م) كان إماما غواصا على المعاني انتهت إليه رئاسة العلم ببغداد [54] وعنه وعن تلامذته انتشر الفقه الشافعي في اكثر من مكان قال العبادي: ((واجتمع الناس عليه وضربوا إليه أكباد الإبل وسار في الآفاق عن مجلسه سبعون إماما من أصحاب الشافعي))[55] وشرح مختصر المزني شرحا مبسوطا نال استحسان علماء الشافعية ووصفه الاسنوي بقوله: ((وهو من احسن ما وقفت عليه من شروحه)) [56] وله

(50) الشيرازي، ص: 104، والنص: (وكان هو السبب في نشاط الناس ببغداد لكتب فقه الشافعي وحفظه).

(51) الشيرازي، ص 109.

(52) تاريخ بغداد: 4/ 287، النووي، تهذيب: 2/ 530.

(53) الذهبي: سير أعلام النبلاء: 14/ 401.

(54) الشيرازي، ص 112.

(55) الطبقات، ص: 68. وينظر: الشيرازي، ص 112. الاسنوي: 2/ 375.

(56) طبقات الشافعية: 1/ 375.

كتاب الأصول وغيرها من المؤلفات [57] وانتقل في آخر عمره إلى مصر فمات بها[58].

وأبو علي الحسن بن الحسين بن أبي هريرة البغدادي (ت 345هـ/ 956م) وأخذ عن ابن سريج وأبي إسحاق المروزي. وجلس للتدريس ببغداد وانتفع به طلبة العلم[59]، وشرح كتاب المزني وله مسائل في الفروع [60] وعلق عنه تلميذه الحسن بن القاسم الطبري (ت 350/ 961م) تعليقه مشهورة في الفقه عند الشافعية[61].

وأبو الحسين أحمد بن محمد المعروف بابن القطان البغدادي (ت 359هـ/ 969م) وهو آخر تلاميذ ابن سريج. درس علم الفقه ببغداد مدة طويلة وسمع منه جمع من الطلبة[62].

وكان أبو القاسم عبدالعزيز بن عبدالله الداركي (ت 375هـ/ 985م) قد تفقه على أبي إسحاق المروزي وانتهى التدريس إليه ببغداد، وعليه تفقه أبو حامد الاسفرايني واخذ عنه شيوخ بغداد كافة وغيرهم ممن وفدوا إليها[63].

---

(57) ابن النديم، الفهرست، ص 212.

(58) الشيرازي، ص 112.

(59) الشيرازي، ص: 112.

(60) ابن النديم، ص 215. الخطيب البغدادي: 7/ 298.

(61) الخطيب البغدادي: 7/ 298 و 299. الشيرازي، ص 113 و 115.

(62) الخطيب البغدادي: 4/ 365. السشيرازي، ص 113.

(63) الشيرازي، ص 117 و 118 . السبكي: 2/ 240.

ونبغ في البصرة فقهاء كانت لهم حلقات علم يحضرها كبار الطلبة وقد ساهموا مساهمة كبيرة في نشر المذهب وتفسير غوامضه منهم: أبو يحيى زكريا بن يحيى الساجي البصري (ت 307هـ/ 919م) الذي رحل إلى مصر ودرس على الربيع المرادي والمزني وغيرهما وله كتاب في اختلاف الفقهاء وكتاب في علل الحديث[64].

وأبو حامد احمد بن بشر المروزي (ت 362/ 972م) الذي قرأ على أبي إسحاق المروزي وسكن البصرة وسمع منه أهلها الكثير من مؤلفات الشافعية وكان إماما لا يشق غباره [65] شرح مختصر المزني و ألف كتاب الجامع في المذهب وله مؤلف في أصول الفقه [66]. وأبو بكر أحمد بن محمد السيبي (ت 372هـ/ 982م) وهو من أهل قصر ابن هبيرة، دخل بغداد سنة 314هـ وتلقى الفقه عن أبي إسحاق المروزي وغيره من علماء الشافعية ورجع إلى قصر ابن هبيرة ونشر بها المذهب الشافعي[67] ومع ان المذهب الحنفي كان غالبا على بعض مدن العراق وبغداد خاصة فقد زاحمه المذهب الشافعي وكانت له كثرة ومع أن الحنفي كان مذهب الدولة لم يمنع ذلك من تقليد بعض الخلفاء للشافعي كما فعل المتوكل (232-247هـ/ 846-861م) وهو أول من فعل ذلك منهم[68].

وفي بلاد الشام كان مذهب عبدالرحمن الاوزاعي (157هـ/ 773م)هو المذهب السائد قبل ظهور الشافعية ولم يكن يلي القضاء والخطابة والإمامة في

---

(64) ابن النديم، ص: 213. الشيرازي، ص: 104. السبكي: 2/ 226.

(65) العبادي، ص: 76. الاسنوي: 2/ 377. النووي: 2/ 211.

(66) ابن النديم، ص: 214. الاسنوي: 2/ 378.

(67) الشيرازي، ص: 116.

(68) تيمور، نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة وانتشارها، القاهرة، 1344، ص 36.

دمشق إلا من كان اوزاعي المذهب[69]، ثم بدا المذهب الشافعي ينافسه المكانة إلى ان استحوذ على البلاد وساد فيها وكان أبو عثمان محمد ولد الشافعي من أوائل الشافعيين الذين ولووا قضاء الجزيرة وأعمالها وحدث هناك، وسمع منه الناس، ثم ولي قضاء حلب وبقي بها سنين، وتوفي بعد سنة 240هـ/ 854م)[70]، وتعزو المصادر ظهور المذهب الشافعي وانتشاره في بلاد الشام إلى أبي زرعة محمد بن عثمان الدمشقي (ت302هـ/ 941م) وكان المذكور قد ولي قضاء الديار المصرية في دولة أحمد بن طولون سنة 284هـ/ 897م) فأقام بها ثمان سنين ثم ولي قضاء دمشق فادخل فيها المذهب الشافعي وحكم به القضاة بعد أن كان الغالب عليهم مذهب الاوزاعي كما قلنا، وكان أبو زرعة يحث طلبة العلم على قراءة كتب الشافعية ويرغب في ذلك ويهب لمن يحفظ مختصر المزني مائة دينار [71] ولما توفي جمع لولده أبي عبدالله الحسين (ت327هـ/ 938م) قضاء مصر والشام فأرسى قواعد ما بدأ به والده[72] ولم يول في بلاد الشام قاض على غير مذهب الشافعي إلا ما كان من ولاية القاضي البلاشاعوني، وجرى له ما جرى فانه ولي قضاء دمشق وأساء السيرة ثم أراد ان يعمل في جامع بني أمية إماما حنفيا، وجامع بني أمية ومنذ ظهور المذهب الشافعي لم يؤم فيه إلا شافعي فاغلق أهل دمشق الجامع ولم يمكنوه

(69) السبكي: 1/ 174.

(70) السبكي: 1/ 226. طاش كيري زادة، مفتاح السعادة، تحقيق: كامل بكري وابو النور، القاهرة، 2/ 296.

(71) الذهبي، سير: 14/ 233. ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية، تحقيق الحافظ عبدالعليم، بيروت 1407هـ، 2/ 102.

(72) الاسنوي: 1/ 520. ابن حجر، رفع الاصر عن قضاة مصر، تحقيق حامد عبدالحميد وأبو سنة، القاهرة، 1957، 1/ 214.

ثم عزل القاضي واستمرت دمشق على عادتها لا يليها إلا شافعي إلى زمن الظاهر بيبرس التركي حيث ضم إلى الشافعي القضاة من المذاهب الثلاثة الأخرى[73].

ويؤكد المقدسي أن الفقهاء بإقليم الشام في القرن الرابع الهجري كانوا شافعية وهكذا ظلوا لقرون سادة الساحة[74].

وأما بلاد الحجاز فلم تبرح أيضا منذ ظهور مذهب الشافعي إلى يومنا هذا كما يقول السبكي في أيدي الشافعية القضاء والخطابة والإمامة بمكة والمدينة والناس من خمس مئة وثلاث وستين سنة يخطبون في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويصلون على مذهب الشافعي ومتى كان البلد فيها لغير الشافعية خرب[75].

وكان عبدالعزيز بن يحيى الكناني المكي واحدا من رواد المذهب في الحجاز، اخذ عن الشافعي وطالت صحبته له، وخرج معه إلى اليمن وحمل عنه أكثر مروياته[76] وأبو بكر عبدالله الزبير الحميدي المكي (ت 219هـ/ 834م) اخذ عن مسلم بن خالد الزنجي وابن عيينه ورحل مع الشافعي إلى مصر ولزمه إلى ان مات فرجع إلى مكة يدرس ويفتي وعنه حملت بعض مؤلفات الشافعي[77].

---

(73) طبقات الشافعية 1/ 174.

(74) حسن التقاسيم، ص 32.

(75) طبقات الشافعية: 1/ 174 و 8/ 320.

(76) الشيرازي، ص: 103. السبكي: 1/ 265.

(77) الشيرازي، ص : 100. الاسنوي: 1/ 19. السبكي: 1/ 262.

وأبو الوليد موسى بن أبي الجارود المكي سمع من الشافعي وروى عنه الحديث وكتاب الامالي وكان يفتي بمكة على المذهب الشافعي [78] وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت316هـ/ 928م) سكن مكة وجلس بها للتدريس وصنف في اختلاف العلماء كتبا لم يصنف أحد قبلها وهي من الكتب المعتمدة والمتداولة لدى الشافعية وغيرهم[79].

واما أهل اليمن فالغالب عليهم الشافعية ولا يوجد فيها غير شافعي إلا أن يكون من بعض الزيدية [80] وكان الشافعي قد دخل اليمن وقضى فيها سنتين ونشر فيها علمه وبعض مؤلفاته إلا ان فضل انتشار المذهب ورسوخه انما يعود إلى القاضي أبي الفتوح عبدالله بن محمد بن أبي عقامة (ت 550هـ/ 1155م) صاحب كتاب الخناثي – بالثاء- وهو في مجلد لطيف فيه نفائس حسنة ولم يسبق إلى تصنيف مثله [81] ولأبي الفتوح أولاد وأحفاد أئمة فضلاء انتفع بهم كثير من علماء اليمن وفضائل بني عقامة مشهورة وهم الذين نشروا المذهب الشافعي في اليمن[82].

أما المشرق الإسلامي فهو بلاد واسعة وأقاليم كثيرة وتعد بلاد خرسان ومدنها مرو ونيسابور وبلخ وهراة من اشهر الحواظر العامرة بالعلماء فقد كانت

---

(78) الشيرازي، ص: 100. السبكي: 1/ 274.

(79) ابن النديم، 213. الشيرازي، ص 108.

(80) السبكي: 1/ 174.

(81) الاسنوي: 2/ 259. السبكي: 4/ 37.

(82) الاسنوي: 2/ 258. السبكي: 4/ 237.

مرو القاعدة الكبرى ومحط أهل السلطان وكبار العلماء من هذه البلاد [83] وكفاك قول الشافعي تارة قال الخراسانيون وتارة قال الموارزة وهما عبارتان عندهم عن معبر واحد والخراسانيون نصف المذهب فكأن مرو في الحقيقة نصف المذهب وانما عبروا بالموارزة عن الخراسانيون جميعا لان أكثرهم من مرو وما والاها[84].

وتعد نيسابور هي الأخرى من اعظم المدن لم يكن بعد بغداد مثلها [85] واما بلاد فارس وقاعدتها شيراز فقد كانوا شافعية وظاهرية والغالب عليهم شافعية[86].

وانتشر المذهب في إقليم ما وراء النهر وغيره من الأقاليم ووجد له اتباع كثيرون في مدن سمرقند وبخارى وجرجان والري واصبهان وطوس وساوة وهمدان والدامغان وزنجان وتبريز وبيهق وغيرها من المدن الأخرى. قال السبكي: ونحو مائة مدينة في بلاد اذربيجان وما جورها يختص بالشافعية لا يستطيع أحد ان يذكر فيها غير المذهب الشافعي [87] وقول السبكي لا يخلو من مبالغة، إذ من المعروف والثابت ان للمذهب الحنفي خاصة سيادة في اكثر من إقليم ومدينة مما هو مذكور مع تقاسيم الشافعية لمناطق النفوذ مع الحنفية في أقاليم أخرى[88] وقد نسبت كتب التراجم إلى أعلام مخصوصين فضل ظهور المذهب ونشر علومه في المشرق الإسلامي.

---

(83) الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار الفكر، 5/ 112. السبكي: 1/ 174.

(84) الحموي، 5/ 112. السبكي: 1/ 174.

(85) الحموي: 5/ 331.

(86) السبكي: 1/ 175.

(87) السبكي: 1/ 174 و 175.

(88) تيمور، ص 33.

ويعد أبو محمد عبدالله بن محمد المعروف بعيدان المروزي (ت 293هـ/ 905م) أعلاهم درجة وإسناد فقد رحل في طلب العلم دخل مصر و أقام بها سنتين ولقي: المزني والربيع المرادي وكتب عنهما مؤلفاتهما، وهو أحد من اظهر المذهب الشافعي بخرسان وكان المرجوع إليه في الفتاوى والمعضلات بعد وفاة شيخ مرو احمد بن سيار المروزي (ت 268هـ/ 881م)[89] وهو أول من ادخل مختصر المزني مدينة مرو وعنه حمله طلبة العلم[90] ولعبدان مؤلف يقع في مائة جزء سماه كتاب المعرفة وله كتاب الموطأ وغيرهما وانتفع بعلمه خلق كثيرون وصاروا أئمة من بعده[91]

ومنهم: محمد بن نصر المروزي (ت294هـ/ 906م)أحد أئمة الإسلام رحل رحلتين في طلب العلم ودخل مصر وتفقه على تلاميذ الشافعي وعاد من رحلته الثانية في سنة 260هـ/873م فاشتغل بالتدريس والفتيا في نيسابور وكان يعطي كل نوع من العلم حظه، وتفرد بالإفتاء وفق المذهب الشافعي بعد وفاة محمد بن يحيى[92] ودخل سمرقند في سنة 275هـ/ 888م، فسكنها ونال بها حظوة وشهرة من لدن الخاصة والعمة من أهلها[93] وخدم المذهب الشافعي خدمة كبيرة فقد درس عليه وروى عنه طلبة نيسابور وسمرقند وغيرها من مدن المشرق الإسلامي ومؤلفاته في بلاد الإسلام مشهورة ويعد كتاب القسامة من أشهر مؤلفاته ومن

---

(89) العبادي، ص: 57. الخطيب البغدادي: 11/ 135. الاسنوي: 2/ 202. ابن قاضي شهبه: 2/ 79.

(90) الحموي، معجم البلدان: 2/ 173. الذهبي، تذكرة الحفاظ: 688. وسير أعلام النبلاء: 14/4.

(91) الاسنوي: 2/ 202.

(92) ابن عساكر، تاريخ دمشق، 56/ 113. الاسنوي: 2/ 372. السبكي: 2/ 21.

(93) الاسنوي: 2/ 372.

أكثرها تداولا في الأوساط العلمية [94]، وله كتاب اختلاف الفقهاء وكتاب تعظيم الصلاة وكتاب السنة وكتاب الإيمان وكتاب الفرائض[95].

وتفقه أبو بكر الحسن بن سهل الفارسي بمصر على المزني وغيره من تلاميذ الشافعي وهو أول من درس المذهب الشافعي ببلخ برواية المزني وله من المؤلفات: كتاب عيون المسائل[96].

وكان أبو عوانه يعقوب بن إسحاق الاسفرايني (ت316هـ/928م) أحد الحفاظ المكثيرين طاف بلاد الشام والجزيرة ومصر والعراق والحجاز واليمن له المسند الصحيح المخرج على كتاب مسلم [97]، وهو أول من أدخل إسفرايين مذهب الشافعي وكتبه حملها عن رواد المذهب المزني والربيع المرادي وغيرهما بمصر[98].

وظهر أبو العباس أحمد المعروف بابن القاص الطبري (ت 335هـ/ 946م) بطبرستان وهو الذي نشر المذهب الشافعي فيها وبه تفقه أهلها [99] وكان ابن القاص قد درس على ابن سريج وحمل عنه اكثر مؤلفاته ومروياته وهو أحد الأئمة الشافعية خلف من المؤلفات كتاب المفتاح وكتاب التلخيص

---

(94) الخطيب البغدادي: 3/ 316. الشيرازي، 107.

(95) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 39/14. ابن حجر، فتح الباري . تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب، بيروت، 1379هـ، 19/12.

(96) السبكي: 1/ 386.

(97) الذهبي، سير أعلام النبلاء: 420/4. وتذكرة الحفاظ، 648.

(98) الاسنوي: 203/2. السبكي: 487/3. ابن قاضي شهبه: 104/2.

(99) الشيرازي، ص 111.

في الفروع وهو من أعمق كتب الفقه وأدقها وكتاب أدب القاضي وكتاب المواقيت(100).

ويعد القفال الشاشي محمد بن علي بن إسماعيل (ت365هـ/ 976م) من أشهر علماء الشافعية الذين ساهموا مساهمة كبيرة في نشر المذهب في معظم مدن المشرق الإسلامي، فقد كان إمام عصره في بلاد ما وراء النهر وأعلمهم بالفقه والأصول(101) ولم يكن بما وراء النهر للشافعيين مثله في وقته (102) تفرغ للتدريس والتأليف وخدمة العلم ونشر المذهب، ولم يشغله منصب ولا غيره، درس الفقه في بخارى مدة طويلة، وفي نيسابور(103) ، وفي الشاش والري ودخل قزوين فحضر مجلسه الكبار من علمائها (104) ، وأتحف المذهب بمؤلفات قل نظيرها ونالت استحسان الموالف والمخالف مثل: كتاب أصول الفقه، وكتاب محاسن الشريعة، وكتاب جامع الكلم، وشرح رسالة الشافعي شرحا حسنا(105) وعنه وعن تلامذته من بعده انتشر المذهب الشافعي ومؤلفاته في بلاد ما وراء النهر(106) وذكر المقدسي ان المذهب الشافعي كان الغالب على إقليم كرمان والمناطق لمجاورة له (107)، وفي

---

(100) وقد اعتنى بشرحه أبو عبدالله محمد بن الحسن ختن أبي بكر الإسماعيلي (ت 386هـ/ 996م) ينظر: الشيرازي، ص 121. السبكي: 2/ 103.

(101) ابن عساكر، تاريخ دمشق: 247/54. السبكي: 3/ 200.

(102) ابن خلكان: 4/ 200.

(103) السبكي، 3/ 201.

(104) الرافعي، التنوين في أخبار قزوين، تحقيق العطاري، بيروت، 1978، 1/ 458.

(105) ابن عساكر، تبين كذب المفتري، ص 183.

(106) الشيرازي، ص 112.

(107) احسن التقاسيم، ص 35. وينظر: تيمور، ص 33.

رواية ان جميع أهل مدينة فاراب – قاعدة من قواعد بلاد الترك – كانوا على المذهب الشافعي(108).

وأما المغرب والأندلس ؛ فقد كان القيروان قوم قلة أخذوا بمذهب الشافعي (109)، وكان بالأندلس جماعة قد رحلوا إلى المشرق من أمثال: قاسم بن سيار الأندلسي (ت 276هـ/ 889م) وتفقه بمصر على المزني وحمل عنه مؤلفاته ومروياته وكان يذهب مذهب الحجة والنظر ويميل إلى المذهب الشافعي في فتاوية (110) ، ولم يكتب للمذهب الشافعي أن يظهر في هذين الإقليمين كما ظهر في إقليم المشرق الإسلامي وذلك لغلبة مذهب مالك بن انس عليهما.

ان الأصول الثلاثة المذكورة: رواد المذهب، وتلامذتهم، ومؤلفاتهم، هي أركان كل المذاهب الإسلامية وبتواصل ودوام هذه الأصول تنشر المذاهب وتسود فكم من مذهب ساد لمدة ثم باد ولم يعد له من اثر يذكر على الساحة لانعدام التواصل بين هذه الأصول الثلاثة.

وثمة عوامل ثانوية ساهمت بشكل نسبي في الترويج لهذا المذهب أو ذاك قامت أساسا على الترغيب وذكر فضائل المذهب وفضل إمامه وقد أخذت تلك العوامل مناخ وأنماط مختلفة خرجت في بعض الأحيان عن

---

(108) الحنبلي، شذرات الذهب، بيروت، 1/ 352.

(109) عياض: 1/ 26. قال المقدسي، ص 236: (وسائر المغرب إلى مصر لا يعرفون مذهب الشافعي انما هو أبو حنيفة ومالك...).

(110) ابن القرضي، تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، 1966، 2/ 355 و 356. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص: 648.

الحد وغاصت في بهرجة المبالغات فلم يتورع البعض من علماء الشافعية من تأويل الأحاديث النبوية لصالح المذهب وفضله: فقد روى عن الجارود عن أبي الاحوص عن عبدالله بن مسعود عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ((لا تسبوا قريشا فان عالِمها يملأ الأرض علما، اللهم كما أذقت أولها نكالا، فأذق آخرها نوالا))[111].

قال أبو نعيم عبدالملك بم محمد الاسترابادي: ((وفي هذا الحديث علامة بينة إذا تأمله الناظر المميز علم ان المراد به رجل من علماء هذه الأمة من قريش يظهر علمه وتلك صفة لا تصلح إلا للشافعي فانه عالم قريش، قد بين العلم ومهد الطريق وشرح الأصول وبين الفروع وصنف المصنفات التي سارت بها الركبان وانتشرت في سائر البلدان....))[112].

وعزز الشافعية مكانة مذهبهم بالقول ان المبعوثين على راس كل مائة سنة ممن يجدون الدين هم من الشافعية فقد روى السبكي بسنده عن شيوخه عن أبي هريرة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - انه قال: ((يبعث الله لهذه الأمة على راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها))[113] وفي لفظ آخر ((في راس كل مائة سنة

(111) الحديث في كتاب السنة لابن أبي عاصم، بيروت، 1400هـ، 2/ 641، ومسند الشاشي، المدينة المنورة، 1410هـ/ 169/2، ومسند الطيالسي، دار المعرفة، بيروت، ص 39. وطبقات الشيرازي، ص: 104 و 105، وحلية الأولياء، لأبي نعيم، 6/ 295.

(112) الشيرازي، ص: 104 و 105.

(113) الحديث في: سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين، دار الفكر، 109/4. وذكره: الحاكم، المستدرك على الصحيحين، بيروت، 1990، 4/ 567. الطبراني، المعجم الأوسط، القاهرة، 1415هـ، 324/6. الداني، السنن الواردة في الفتن، الرياض، 1416، 743/3. ابن حجر، فتح الباري، 1/ 148.

رجلا من أهل بيتي يجدد لهم دينهم)) [114] وهكذا كان الشافعي على راس المائة الثانية وأبي العباس ابن سريح على راس المائة الثالثة واما المائة الرابعة فقد قيل ان أبا حامد الاسفراييني هو المبعوث فيها وقيل بل أبي سهل الصعلوكي وكلاهما من أئمة الشافعية والراسخين في العلم، والخامس هو الغزالي والسادس هو الفخر الرازي ويحتمل ان يكون الرافعي إلا ان وفاته تأخرت إلى بعد سنة 620هـ/ 1223م والسابع تقي الدين ابن دقيق العيد[115] ونبه السبكي على ان هؤلاء لا يحسن من أحد ان يخالف فيهم الجميع من الشافعية إلى ابن دقيق العيد أسماؤهم دائرة بين محمد وأحمد وله منظومة في هذا المعنى أودعها طبقاته فلتنظر [116].

ومن العوامل الأخرى محاولة بعض الفقهاء إقناع الولاة والحكام باعتناق مذهب يعينه وتزينه لهم فقد ذكرت المصادر التاريخية ان أبا نصر بن مروان (ت452هـ/ 1060م) لما ولي أرزن وديار بكر شجع العلماء على قصد بلاطه فقصده جماعة من سائر الآفاق كان بينهم أبو عبدالله محمد بن ابان الكازروني (ت455هـ/1063م) وقد نشط الكازروني في نشر المذهب الشافعي حتى ساد في تلك المناطق[117] واقنع أبو الفتح وجيه الدين محمد بن محمود المروزي السلطان غياث الدين صاحب غزنه وبعض خراسان بترك مذهب الكرامية [118]، والانتقال

---

(114) ينظر: النووي، تهذيب 27/1 و 2/ 336.

(115) طبقات الشافعية: 1/ 106 و 107.

(116) 1/ 107.

(117) ابن الأثير، الكامل: 466/7.

(118) نسبة إلى محمد بن كرام المتوفى سنة 225هـ/ 139م.

إلى المذهب الشافعي وبيَّنَ فساد مذهب الكرامية، فصار شافعياً وبنى المدارس للشافعية وبنى بغزنه مسجدا لهم واكثر مرعاتهم[119].

ومن غريب الروايات المذكورة ما روى عن السلطان محمود بن سبكتكين (ت421هـ/ 1030م) وكان حنفيا معتنيا بالحديث النبوي فوجد كثيرا منه يخالف مذهبه فجمع الفقهاء بمرو، وأمر بالبحث في أيما المذهبين اصلح مذهب أبي حنيفة أم مذهب الشافعي، ووقع الاتفاق على ان يصلوا ركعتين بين يدي السلطان على المذهبين فصلى أبو بكر عبدالله بن أحمد القفال المروزي (ت 417هـ/ 1026م) بوضوء مسبغ وطهارة وقبلة وتمام أركان لا يجوز الشافعي دونها ثم صلى صلاة على ما يجوزه أبو حنيفة ((فلبس جلد كلب مدبوغا قد لطخ ربعه بنجاسة وتوضأ بنبيذ فاجتمع عليه الذبان وكان وضوءً منكسا ثم كبر بالفارسية.. ونقر ولم يطمئن ولا رفع من الركوع وتشهد وضرط بلا سلام...))[120] وقد وصف القفال المروزي بأنه أوحد عصره وشيخ المراوزة وكان إماما كبيرا وبحرا عميقا غواصا على المعاني الدقيقة ثاقب الفهم كبير الشان [121] ولا أحسب أن عالما بهذا القدر يجترأ على الحنفية بهذا الشكل المشين وأن يظهر منه مثل هذا التعصب المقيت بل والسخرية من السلطان والحاضرين في مجلسه.

ويعد منصب القضاء والفتيا من عوامل انتشار المذهب في بعض الأقاليم وخاصة في بلاد الشام وعلى وجه التحديد في مدينة دمشق وقد سبقت الإشارة إلى الدور الذي قام به أبو زرعة الدمشقي في هذا المجال، وفيما عدا ذلك فقد كان تأثير

---

(119) ابن الأثير: 1/ 264.

(120) الذهبي، سير أعلام النبلاء: 17/ 486.

(121) العبادي، ص: 105. الاسنوي: 2/ 298.

هذا العامل ضعيفا ان لم يكن محدودا لقلة من تولى منصب القضاء من الشافعية مقارنة بغيرهم من الحنفية مثلا.

ان مؤزارة الحكام للمذهب الشافعي لم ترق بأي حال من الأحوال إلى درجة الالتزام الرسمي للمذهب كما الحال في المذهب الحنفي في العراق وبعض الأقاليم العربية الإسلامية ومذهب مالك بن أنس في الأندلس قال الحميدي: سمعت أبا محمد علي بن أحمد يقول: ((مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان؛ مذهب أبي حنيفة فانه لما ولي قضاء القضاة أبو يوسف كان القضاة من قبله فكان لا يولي قضاء البلاد من أقصى المشرق إلى أقصى أعمال أفريقية إلا أصحابه والمنتمين إلى مذهبه، ومذهب مالك بن انس عندنا – يعني في الأندلس – فان يحيى بن يحيى[122] كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاء فكان لا يلي قاض في أقطارنا إلا بمشورته واختياره ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه – المالكي – والناس سراع إلى الدنيا والرياسة فاقبلوا على ما يرجعون بلوغ أغراضهم به))[123].

واما المنامات والرؤى فهي منفذ آخر نفذ منها أهل المذاهب ودعاتهم فنسبوا إلى صالح العلماء ومشاهيرهم رؤية رب العزة في المنام، أو رؤية الرسول - صلى

(122) يحيى بن يحيى بن كثير الليثي، سمع من جماعة بالأندلس، ورحل فسمع من الإمام مالك بن انس والليث بن سعد وابن القاسم وغيرهم . وهو من اشهر فقهاء الأندلس في زمانه، توفي سنة 234هـ. ابن القرضي تاريخ علماء الأندلس: 2/ 179.

(123) جذوة المقتبس، الدار المصرية، 1966، ص 383. وينظر: الضبي، بغية الملتمس، القاهرة، 1967، ص 511.

الله عليه وسلم ـ للأخذ ببعض المذاهب دون غيرها والأمثلة على ذلك كثيرة في كتب التراجم[124].

وخلاصة القول فالعرض السابق يؤشر روادا قام عليهم المذهب وكان لهم نصيب كبير وحظ وافر في نشر المذهب وذيوعه في الآفاق، ففي مصر كان المزني والبويطي والربيع المرادي وتلامذتهم من بعدهم. وفي العراق جماعة فيهم أبو ثور والزعفراني والانماطي وابن سريج والروزي. وفي الحجاز عبدالعزيز الكناني والحميدي المكي وابن المنذر. وفي اليمن ابن أبي عقامة وأولاده وأحفاده، وأما المشرق الإسلامي فقد ظهر فيه عبدان المروزي وابن سهل الفارسي وابن القاص والقفال الشاشي وقد اعتمد الدارسون للفقه الشافعي مؤلفات هؤلاء الرواد وعدوها أصولا ومقرراتا علمية لا يمكن إغفالها.

ان الأصول الثلاثة: الرواد وتلامذتهم ومؤلفاتهم هي أركان كل المذاهب الإسلامية وباتصال سندها بالرواية من دون انقطاع ينتشر المذهب ويسود.

---

(124) ينظر على سبيل المثال: الشيرازي، ص 107. الرافعي، التنوين، 4/ 119. الذهبي، سير أعلام النبلاء: 19/ 117. ابن قاضي شهبه، 2/ 273.

Abstract

The Spread of Shāf'i School in Arabian and Islamic Regions

Dr. Natiq Saleeh Matloob (*)

This research is an attempt to tackle subjective and objective factors beyond the spread of Shāf'i school in Arabian and Islamic regions. We emphasize the role of pioneers and their students (scholars) who had contribution in the spread of the mazhab through their teaching and explaning the principles of this school .The three pillars (the pioneers, the scholars and the contributions) are the major factors behind the spread of every islamic school. The continuity and spread of the islamic doctrine is gorevned by consective narrators.

(*) Department of History - College of Arts / University of Mosul.